نَسيبٍ لا يخرج فيه أيضاً عن تلك التّقاليد الشّعريّة القديمة ، وهو يعترف بذلك في سَذاجةٍ بريئة ؛ إذ يقول في آخِر القصيدة :

صَدَّرْتُهَا بنَسيبٍ شَفَّ باطِنُهُ عن عِفَّةٍ لم يَشِنْهَا قَوْلُ مُتَّهِم
لم أَتَّخِذْهُ جِزَافاً بل سَلَكْتُ بِهِ في القولِ مَسْلَكَ أقوام ذَوِي قَدَم

فالشّاعر يعتذر عن ذلك النّسيب الذي لم يَفرضْه عليه إلا الالتزامُ بالتّقاليد الشّعريّة الموروثة ، وهو يخشى أن يُتّهم بإساءة الأدب ، فيقول إنه كان غزلاً عفيفاً لا مَطْعَنَ فيه عليه . وهذا تحرُّجٌ قضى به تَزَمُّتُ مجتمعنا الحديث ؛ فكعب بن زهير وحسّان بن ثابت قَدّما لمديحهما بغزل لم يحتاجا معه إلى مثل هذا الاعتذار .

ونمضي مع قصيدة البارودي فنجد أنه بعد أن تتبّع فيها حياةَ الرّسول منذ المولد ، كما وردت في كتب السّيرة ، يُشير إلى بشائر هذا الميلاد ، على نحو ما فعل سائرُ المادحين النّبويّين ، فيقول مثلاً عن خبر المَلَكَيْن اللذين شَقّا صدْرَ الرّسول ﷺ في طفولته ، وأخرَجا من قلبه العَلَقَة السّوداء رمزاً لتطهير روحه من شوائب الهَوى :

فبَيْنَمَا هُوَ يَرْعَى البَهْمَ طافَ به شَخْصانِ من مَلَكُوتِ اللّهِ ذِي العِظَم
فأضْجَعَاهُ وشَقّا صَدْرَهُ بِيَدٍ رَفيقةٍ لم يَبِتْ منها عَلَى أَلَم
وبَعْدَمَا قَضَيا من قَلْبِهِ وَطَراً تَوَلّيا غَسْلَهُ بالسّلْسَلِ الشّبِم
ما عَالَجَا قَلْبَهُ إلا لِيَخْلُصَ مِنْ شَوْبِ الْهَوَى ويَعِي قُدْسِيَّةَ الحِكَم[1]

ولا يختلف البارودي عن المادحين السّابقين في تَعْداده لِتلك المعجزات ؛ فهو يتحدّث عن نبوءَةِ بَحيرا بما ينتظره من الرّسالة ، بعدما رأى الغَمامة تظلّله والشّجرَ يَحْنو بأغصانه عليه :

---

(١) السّلْسَل الشّبِم : الماء العَذْب البارد ، شَوْب الهوى : مُخالَطته ومُقارفَتُهُ .